

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

سلسلة دروس في مادة

النظريات المعاصرة لعلم الاجتماع

سنة ثالثة ليسانس - علم الاجتماع -

د/ بن عودة محمد

محتوى المادة:

1- النظرية الوظيفية

2- نظرية الصراع

3- البنيوية التكوينية

4- البنيوية الجينية

5- البناء الاجتماعي

6- نظرية الانعكاسية الاجتماعية.

7- التفاعلية الرمزية

1- الوظيفة الجديدة:

تحتل النظرية الوظيفية مكانة مرموقة بين النظريات الاجتماعية، حيث كانت ولا تزال مرجعا أساسيا ومنطلقا فكريا للعديد من الدراسات والبحوث الاجتماعية، وتعود الجذور الأولى للإتجاه الوظيفي إلى علم البيولوجيا والطب والعلوم الطبيعية حيث يقوم هذا الإتجاه على فكرة أساسية مؤداها أن كل عضو من أعضاء الجسم يؤدي وظيفة معينة وهذه الوظائف تكون متكاملة ومتناسقة، وأي خلل في أي وظيفة في أي عضو داخل الجسم يؤدي إلى خلل في النسق ككل (الجسم).

وقد لفتت هذه الفكرة انتباه علماء الاجتماع الذين كانوا يشبهون المجتمع بالكائن الحي وعلى رأسهم هربرت سبنسر، ثم أوجست كونت وأميل دوركايم وروبرت ميرتون، وتالكوت بارسونز وقد ارتكز هذا الإتجاه على مبدئين أساسيين هما:
أولاً: أن المجتمع مثل الجسم البشري كلية متكاملة.

ثانياً: أن كل عضو من أعضاء هذا الجسم لا يمكن فهمه إلا في إطار كلية.

وبعد هربرت سبنسر (1820-1903) من الرواد الأوائل الذين اعتمدوا على النظرية الوظيفية في تحليلاتهم الاجتماعية، وقد لاحظ سبنسر العديد من أوجه التشابه بين الكائنات العضوية والكائنات الاجتماعية منها:

- 1- يتميز كل من المجتمع والكائنات العضوية بالنمو فالرضيع ينمو حتى يصبح طفلاً فرجلاً، والمجتمع يصبح دولة فإمبراطورية.
- 2- تنمو كل المجتمعات والكائنات العضوية وتتطور في الحجم كما أنها تنمو في درجة تعقدها البنائي.
- 3- تتشكل كل من المجتمعات والكائنات العضوية من أعضاء تؤدي وظائف محددة داخل النسق العام.
- 4- يؤدي التطور داخل المجتمعات أو الكائنات العضوية إلى تباينات في البناء والوظيفة.

أما إسهامات إميل دوركايم (1858-1917) في النظرية الوظيفية فنلخصها في النقاط التالية:

- 1- رؤية المجتمع على أنه نسق أو وحدة كلية تتألف من مجموعة من الوحدات المرتبطة مع بعضها البعض.
- 2- يسعى المجتمع بشكل عام باعتباره نسقا على إيجاد حالة من التوازن العام.
- 3- هناك اتفاق عام على القيم والمعايير الموجودة داخل المجتمع يلتزم بها جميع أفراد.
- 4- إن الاتفاق على القيم والمعايير بين أفراد المجتمع يمثل الهدف النهائي للنظام.

ويعتبر عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز (1902-1979) من أبرز علماء الاجتماع الوظيفيين، ومن أبرز أفكاره الوظيفية أن المجتمع يتكون من النظم المتفاعلة مع بعضها البعض والتي تكسبه قدرا من الاستقرار، وأن الأنساق تخضع الأفراد لكوكبة من مكنيزات الضبط الاجتماعي، وهذا ما يؤدي إلى تحقيق التكامل الاجتماعي

والاستقرار، ويرى بارسونز أن التحليل الاجتماعي يجب أن يركز على النسق الاجتماعي الكلي وليس على الأحداث الاجتماعية المعزولة كالجرمة والجروح والمشاكل العائلية حيث يفسر الكل بالجزء وليس العكس. ووضع بارسونز تصور شامل للمجتمع يؤدي إلى الاستقرار الاجتماعي يتكون هذا التصور من أربع أنساق رئيسية وهي:

- 1- التكيف وبضطلع بها النسق الاقتصادي الفرعي.
- 2- تحقيق الهدف ويقوم به النسق السياسي الفرعي
- 3- التكامل ويعمل على تحقيق الروابط الاجتماعية الفرعية.
- 4- المحافظة على النمط أو خفض التوتر ويكون من نصيب المؤسسات الثقافية ومؤسسات التنشئة.

وبالرغم من الاسهامات الجليلة التي قدمتها الوظيفية في علم الاجتماع إلى أنها لم تسلم من انتقادات لاذعة خاصة من جانب أولئك الذين يمثلون المذهب الصراعى الماركسي، حيث لم يدخروا أي جهد في كشف مكان من القصور والنقص الذي ظهر على هذه النظرية، وهذا ما أدى ببعض المخلصين إلى مراجعة أفكار النظرية من أجل تطويرها وإعادة بعثها حتى تواكب التغيرات والتطورات الاجتماعية الراهنة وعلى رأسهم جيفري ألكسندر ونيكلاس لوهمان.

عوامل ظهور الوظيفية الجديدة:

شهدت خمسينيات و ستينيات القرن الماضي تغيرات اجتماعية و سياسية داخل و خارج امريكا (ظهور اليسار الجديد ، تعاظم القوة السوداء ، العنصر النسوي ، موجات التحرر ، الحرب الباردة ، المد الشيوعي ، الوعي الطلاي ، حركات ضد التمييز العنصري ، الحقوق الجندرية ، تزايد الهوة بين الطبقات ...الخ) كل هذه الاشكالات و التغيرات و غيرها أبانت عن أن هناك ثغرات في النظرية السوسيولوجية تحديدا (البنائية الوظيفية) التي وقعت حينها في أزمة على المستويين النظري و الايديولوجي ، حيث بينت الوقائع أن هذه النظرية على الرغم من كونها استطاعت تفسير الواقع الامريكي لفترة من الفترات إلا انها لم تعد قادرة على مواكبة التحولات ما جعلها تغرد في واد و الواقع في واد آخر ، ففي الوقت الذي كان فيه المجتمع الامريكي يتخبط في جمة من المشكلات ، لاسيما الصراع الطبقي و الجندري ، كانت هي بعيدة كل البعد عن هذه التغيرات المجتمعية ، متجاهلة ذلك الصراع ، ماضية نحو الحفاظ على النظام و إقرار التوازن و الاستقرار ، ما جعلها تتصدع على المستوى النظري ، ناهيك عن أنها كذلك ظهرت للعيان بأنها نظرية محافظة ، تدعم الأيديولوجيا الليبرالية ، و مرتبطة ارتباطا شديدا بالسياسة و بعيدة عن الحياء ، الأمر الذي أدى بالراديكاليين الى الانتفاض ضدها و ضد مزاعمها في تفسير الواقع الاجتماعي بموضوعية ، و من أبرز الكتابات الراديكالية التي ظهرت تلك الفترة في نقد النظرية البارسونية (البنائية الوظيفية) هي:

-عالم الاجتماع الامريكي رايت ميلز الذي كتب (صفوة القوة) ، (الخيال السوسيولوجي) ، (ذو الباقات البيضاء)

-عالم الاجتماع الامريكي ألفن جولدنر الذي كتب (الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي)

-عالم الاجتماع الألماني هيربرت ماركيز الذي كتب (الانسان ذو البعد الواحد)

شكلت كتابات مثل (الخيال السوسيولوجي) و(الازمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي) ضربة للنظرية البارسونية، حيث دأب الكاتبان على فضح عورات البنائية الوظيفية و دعوا الى التأمل من جديد في حيثيات النظرية السوسيولوجية و مراميها، و إعادة النظر في فحواها، بل وصل الأمر برايت ميلز الى تلخيص كتاب بارسونز (النسق الاجتماعي) في أوراق معدودة ملخصة، واصفا إياه (أي كتاب بارسونز) بالنثر النظري الطنان!، في حين أن كتابات مثل الانسان ذو البعد الواحد و صفوة القوة و ذو الياقات البيضاء كشفت عن ذلك القصور الذي تعانیه البارسونية في فهم و تفسير الواقع الاجتماعي و التغيرات الجديدة، لاسيما على مستوى الطبقة الوسطى، و تفاقم الصراع، و تركز القوة في يد الصفوات الثلاث السياسية و الاقتصادية و العسكرية، و ما قبله من غليان في الشارع قادته شرائح جديدة إضافة للطبقة العمالية هي شرائح الطلاب الجامعيين و القوة السوداء و الحركات النسوية و شرائح أخرى من دعاة السلام و نبذ الحروب كالهيبيز و غيرهم.. هؤلاء رفضوا الواقع الأمريكي و نددوا ضد السياسة الأمريكية الداخلية و الخارجية و كان من أبرز الوجوه المناهضة آنذاك، سنوات الستينيات تلك، هو نعوم تشومسكي الناقد السياسي الذي لا يزال لحد اليوم مناهضا للسياسة الأمريكية الداخلية و الخارجية.

لقد ظهرت الوظيفية الجديدة باعتبارها ميلا نظريا وليست نظرية في حد ذاتها فهي عبارة عن امتداد لأفكار بارسونز وطروحاته، لقد ظهرت الوظيفية الجديدة في الثمانينات من القرن الماضي في الولايات المتحدة وألمانيا ومن أبرز روادها:

جفري ألكسندر:

يعتبر علم الاجتماع الأمريكي جفري ألكسندر واحد من أبرز المنظرين الاجتماعيين في العالم وهو مؤسس علم الاجتماع الثقافي ولد في 30 مايو 1947، تتلمذ على يد تالكوت بارسونز وتأثر بأفكاره الوظيفية و يقول جفري ألكسندر في كتابه الوظيفية الجديدة أن المعركة ضد البارسونية قد حسمت عام 1980 فنظريات الصراع و التبادل و التفاعل والماركسية أبرزت قضايا هامة بينت من خلالها ضعف نظرية بارسونز من نواحي متعددة، ومن وجهة نظر جيفري فإننا نعيش اليوم في حالة ما بعد البارسونية في التنظير السوسيولوجي، وهي تمثل حركة توليفية تحاول بشكل أساسي الوصل بين نظريات بعيدة المدى وقصيرة المدى، من أجل إنهاء حالة المدارس المتحاربة من خلال نظرية توليفية، ومن أهم الأفكار التي جاء بها جفري ألكسندر في الوظيفية الجديدة نذكر:

1- خلق شكل من الوظيفية متعددة الأبعاد ويتضمن مستويات التحليل بعيدة وقصيرة المدى.

2- دفع الوظيفية إلى ترك ورفض تفاؤل بارسونز بالحدثة.

3- العمل من أجل حركة ديمقراطية واضحة في التحليل الوظيفي.

4- استدماج منظور الصراع

5- استدماج الابداعية التفاعلية والتأكيد عليها.

نيكولاس لوهمان:

هو عالم اجتماع ألماني ولد سنة 1927 وتوفي سنة 1998 وهو صاحب نظرية النظم الاجتماعية، تأثر كثيرا بأفكار بارسونز و الوظيفية، وصاحب كتاب نظرية الأنساق، ومن أبرز أفكاره حول الوظيفية الجديدة نجد:

- 1- نظر لومان إلى نظرية بارسونز باعتبارها حدثا تاريخيا هاما لأنها تمثل المحاولة الوحيدة التي قدمت انتاجا نظريا.
- 2- يرى لوما أن النسق الاجتماعي ينبثق حيثما وجد التفاعل بين الأفراد حيث يكون هناك معاني وأفعال مترابطة فتشكل نسق اجتماعي.
- 3- هناك ثلاثة أنماط من الأنساق الاجتماعية: أنساق التفاعل وأنساق التنظيم والأنساق الاجتماعية.
- 4- يشير لوهمان في عمل متأخر له إلى الجوانب السلبية للحدثة وهي عبارة عن معوقات وظيفية مثل المخاطر الكونية والمشكلات البيئية والصراعات الطائفية والعرقية.

2. نظرية الصراع بعد ماركس:

تعد النظرية الصراعية التي أسسها عالم الاجتماع الألماني كارل ماركس من أكثر النظريات الاجتماعية تداولاً بين الباحثين الاجتماعيين حيث ساهمت في إثراء الفكر الاجتماعي وفتحت جوانب جديدة للنقاش السوسيولوجي المبني على أساس الصراع الطبقي حيث يرى ماركس أن التاريخ البشري كله قائم على صراع بين طبقتين مالكة وطبقة لا تملك، طبقة حاكمة وطبقة محكومة، لذلك فإن الأغلبية البشرية حسب التصور الماركسي كانت طبقة كادحة، مستغلة وتعمل بمشقة، وتناضل من أجل حقها في العيش الكريم، وهذا ما يصنع التاريخ حسب ماركس. ويعد مفهوم الصراع من المفاهيم المحورية في الفكر الاجتماعي، ويعرف بأنه حالة إنفعالية مؤلمة تنتج عن النزاع بين الرغبات المتضادة.

وفي أواخر الستينيات من القرن الماضي عادت النظرية الماركسية بثوب جديد وهيمنت على علم الاجتماع الأمريكي لعدة أسباب منها:

1. الهجوم الشرس الذي تعرضت له البنائية الوظيفية لسبب نظرتها المحافظة وعدم مجاراتها للواقع الاجتماعي الأمريكي المعاش.

2. استنساخ كل من النظرية الرادكالية والتفاعلية الرمزية عند ميلز من الإتجاه الماركسي وأصبحت قوة داعمة له

3. شهدت فترة الستينيات من القرن الماضي موجات غضب واحتجاجات وصراعات داخل الشارع الأمريكي تمثلت في الحركات النسائية والحركات الطلابية ودعاة التحرر ونبذ العنصرية والحركة المعادية لحرب الفيتنام، وهذا ما جذب العديد من علماء الاجتماع الشبان الذين تدرّبوا في هذا المناخ المتجاذب والأفكار الراديكالية، وتخلّو عن نظرتهم الوظيفية المحافظة وانتقلوا إلى النظرة الثورية الصراعية مثل راندال كوليز.

ومن أبرز رواد النظرية الصراعية الحديثة نجد:

1. لويس كوزر

تناول كوزر مشكلات الصراع الاجتماعي في كتابه: "وظائف الصراع الاجتماعي ؛ 1956م" ويرى أن الصراع هو كفاح حول القيم وأحقية المصادر والقوة والمكانة النادرة. ويعتقد بأن للصراع الاجتماعي وظائف إيجابية في محاولة منه للمزج بين نظرتي الصراعية والوظيفية. كما أن كوزر درس الصراع الذي يحدث داخل الجماعات الصغيرة ووجد فيه فوائد تعود على أعضاء الجماعة نفسها فيؤدي إلى الوحدة الداخلية للجماعة أو يعيد تركيبها من جديد أو يزيد من تماسكها أكثر مما كانت عليه، ولكن هذا لا يحدث دوماً بل يعتمد على نوع وطبيعة البناء الاجتماعي.

ولقد أراد كوزر أن يلفت نظر معاصريه من الباحثين في علم الاجتماع بما تقوم به الصراعات من دور حاسم في الحياة الاجتماعية عن طريق إبرازه للإسهامات التي تقوم بها هذه الصراعات في تحقيق التكامل وتعني هذه المحاولة من جانبه رؤية جديدة للصراع الاجتماعي دون التخلي عن الإطار التصوري للوظيفية. ومن هذا المنطلق وضع كوزر صورة للمجتمع

تؤكد على ما يلي:

- 1- يمكن النظر إلى العالم الاجتماعي كنظام أو نسق من الأجزاء المترابطة بشكل مختلف.
- 2- في كافة الأنساق / المنظومات الاجتماعية يظهر إختلال التوازن والتوترات والصراعات المصلحية بين مختلف الأجزاء المترابطة.
- 3- العمليات داخل وبين مختلف الأجزاء التي يتألف منها النظام تعمل في ظل ظروف من أجل صيانة وتغيير وزيادة أو تقليل تكامل وتوافق النظام.
- 4- كثير من العمليات كالعنف والتفكك والانحراف والصراع والتي تعتبر مفككة للنظام يمكن إعتبارها في ظل ظروف معينة معززة لأسس التكامل في النظام وأيضاً لقدرة النظام على التوافق مع البيئة.

2. رالف داهرندوف

هو عالم اجتماع من أصل ألماني ولد سنة 1929 من أهم مؤلفاته كتاب تحت عنوان الطبقة والصراع الطبقي في المجتمع الصناعي الذي صدر سنة 1959 عرض من خلاله أهم أفكاره ونظرياته الصراعية، لقد تأثر داهرندوف بالأفكار الاجتماعية والاقتصادية التي جاء بها كارل ماركس لاسيما الأفكار التي تقول بأن هناك صراعا طبقيًا في المؤسسات الصناعية، إلا أنه لا يعتقد بأن الصراع هذا هو بين الطبقة العالية وطبقة ارباب العمل كما اعتقد ماركس، ولا يعتقد كذلك بأن سبب الصراع بين العمال وارباب العمل يرجع الى عوامل مادية. ظهرت فكرة الصراع عند دارندروف من خلال دراسته للمؤسسات الصناعية فهو يرى أن الصراع يكون بين العمال والإداريين. داخل المؤسسات الصناعية ذات البناء المركب والعلاقات الرسمية وليس من خلال الصراع الطبقي كما فعل ماركس. إن الصراع في المؤسسات الادارية الحكومية كما يرى داهرندوف يكون بين ابناء الطبقة التكنوقراطية الذين هم خريجي الجامعات والكوادر العملية التي تحتل المراكز القيادية في المؤسسات الادارية الحكومية وبين الكبة والموظفين الصغار. كما ان الصراع في المؤسسات العسكرية يكون بين الطبقة التكنوقراطية ونواب الضباط او المراتب في القوات المسلحة.

3. راندال كولينز

هو عالم اجتماع ألماني ولد سنة 1941 تتلمذ على يد تالكوت بارسونز غير أنه عارض أفكاره الوظيفية في وقت لاحق وهذا ما يؤكده بقوله: "كنت جزا من جيل علماء الاجتماع الشباب الذين اخترقوا النظرية الوظيفية وانتقلوا نحو نظرية الصراع . وفي سنة 1981 حاول كولينز المزج بين الاتجاه الوظيفي و الصراع في مقال نشر تحت عنوان الأسس الصغرى لعلم اجتماع الوحدات الكبرى، سعى من خلاله إلى توضيح كيف أن جميع الظواهر الكبرى يمكن ترجمتها إلى مجموعات من الأحداث الصغرى ويزعم كولينز أن الأبنية الاجتماعية يمكن ترجمتها إمبقيا إلى أنماط من التفاعلات الصغرى المتكررة، وفي هذا يقول كولينز: " إن محاولة إعادة تأسيس علم اجتماع الوحدات الكبرى على أسس صغرى إمبقية يعد الخطوة الحاسمة نحو علم اجتماع أكثر نجاحا"

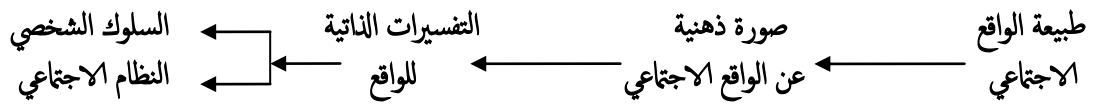
بيتر برغر وتوماس لوكمان : البناء الاجتماعي والواقع.

يرتبط موضوع البناء الاجتماعي والواقع ارتباطا وثيقا بدراسات المعاني ودلالاتها الاجتماعية، فالبناء الاجتماعي ليس ماديا فقط من خلال المؤسسات والأنساق الاجتماعية فهناك جانب آخر معنوي يساهم بشكل كبير في بناء الواقع الاجتماعي وهو تلك الرموز والإشارات والألفاظ واللغة التي تساهم بشكل كبير في عملية التواصل مع الآخرين وبنني على أساسها واقعنا الاجتماعي.

والبناء الاجتماعي هو ذلك الإطار التنظيمي الذي تندرج تحته كافة أوجه السلوك الإنساني، ويتضمن مجموعة من النظم الاجتماعية ذات القواعد السلوكية المستقرة التي تحكم الأنشطة الإنسانية المتعددة في مجتمع ما.

أما بناء الواقع الاجتماعي فهو مجموعة من المعاني الاجتماعية والرموز التي يكتسبها الفرد من خلال احتكاكه مع الآخرين في المجتمع أو المحيط الخارجي، وهذه المعاني تساهم في تشكيل واقع معين، كما أن التفاعلات الاجتماعية التي تتم بين الأشخاص عن طريق التواصل فيما بينهم تخلق أفكارا وتمثلات معينة عن الواقع.

ويمكن تلخيص العلاقة بين البناء والواقع فيما يلي:



انطلق كل من بيتر برجر وتوماس لوكمان في دراستهما لبنية الواقع الاجتماعي من خلال أعمال عالم الاجتماع ألفريد شوتز صاحب النظرية الفينومينولوجية، والتي تفسر البناء الاجتماعي من خلال الواقع المعاش، ويفسر الباحثان الكيفية التي من خلالها تتشكل الحقيقة حيث أن الأفراد يؤولون الأفكار والأفعال والتصرفات إلى معاني ذاتية يحملها كل فرد يعيش في عالم الحياة اليومية تكون منسجمة ومتناسقة ومتماسكة كشكل من أشكال البناء الاجتماعي.

أما النقطة الجوهرية التي ركز عليها الباحثان في دراستهما لبناء الواقع الاجتماعي هي عملية الاتصال بين الأفراد أو الفرد والمجموعة، فالتواجد في الحياة اليومية يفرض علينا التواصل والتفاعل مع الآخرين من خلال الرموز والإشارات واللغة التي تأخذ حصة الأسد من عملية التواصل مع الآخرين، ويمكننا أن نلتمس الدلائل على اهتمام الإنسان باللغة من المراحل الأولى للتفكير الأسطوري.

ويرى لوكان أن اللغة باعتبارها نسقا اجتماعيا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالبناءات الاجتماعية من جهة وديناميكية العلاقات بين الأفراد والجماعات ومؤسسات المجتمع من جهة أخرى، ولا يمكن أن نجد بناءات اجتماعية بدون لغة، فهي تساعد على تنشئة وعي الفرد وتشكيله الاجتماعي بصورة قوية، وفي الواقع كلتا العمليتين تحدث بصورة دقيقة في إطار بناء تاريخي اجتماعي، كما أن استمرارية ثقافة ما تعتمد على أسس الأهداف الاجتماعية الموضوعية والتي من أهم وسائلها اللغة، وتلعب اللغة إضافة إلى وظائف تأثيرها في تكوين الأفراد دورا هاما مباشرا في الأفعال الاجتماعية، كما تحدث الاتصالات اللغوية ردود فعل غير لغوية كالإشارات والرموز .

وتتجذر اللغة بصورة مباشرة في طبيعة الإنسان الحياتية أكثر من الثقافة، وكذلك فإن اللغة ليست سوى واحد من العديد من البناءات الرسمية، ومن أهمها والتي تصبح بسببها الثقافة أمرا ممكنا، وتلعب اللغة دورا رئيسيا في عمليات نقل الفكر والقيم والمواقف والسلوكات. واللغة هي نظام إشاري، ونظام الاشارات هو شبكة علاقات تؤسس العلاقة بين الصيغة الصوتية ونمط التجربة كمرجع لها.

أنتوني غدنز "الانعكاسية الاجتماعية":

يرى أنتوني غدنز أننا نعيش اليوم في "عالم منفلت" تخف به المخاطر التي تحدث عنها "أورليخ بك". ومع ذلك علينا أن نضيف مفهوم "الثقة" إلى جانب "المخاطر" كما يقول "غدنز"، وهي الآمال التي نعقدتها على الأفراد والمؤسسات في مجتمعاتنا الحديثة. وقد أخذ عنصر الثقة هذا بالاندثار مع جملة التحولات المتسارعة في مجتمعاتنا المحلية، وتزايد مظاهر العولمة.

وتعني الثقة حسب "غدنز" أن نعقد الأمل على "أنساق مجردة" لا نعرفها معرفة وثيقة، ولكنها تؤثر تأثيرا مباشرا في حياتنا، مثل المصانع التي تنتج غذائنا، والأجهزة التي تقوم بتنقية المياه التي نشربها، أو البنوك التي نودع فيها أموالنا، والمواقع الإلكترونية التي نضع فيها ملفاتنا الشخصية. وحيث أن الثقة والمخاطرة ترتبطان ارتباطا وثيقا، فإنه علينا أن نكون الثقة بمنظومة واسعة من الهيئات التي تؤثر في حياتنا لنستطيع مواجهة ما يمكن أن نصادفه من مخاطر، وبعبارة أخرى فإننا نتعايش اليوم مع مؤسسات تحمل سلاحا ذو حدين، فإذا أحسنا التعامل مع هذه المؤسسات بإيجابية، فستحسن طريقة حياتنا، وأمنا من المخاطر المحدقة بنا، والعكس صحيح.

والواقع يثبت ذلك، فكثير من المشكلات الاجتماعية والانحرافات تقع نتيجة إساءة التعامل مع هذه الأنساق المجردة التي أحدثتها المتغيرات التكنولوجية والعولمة، والتقدم العلمي، وبالأخص في تلك الدول التي تسترد بطرق عشوائية، ودون تخطيط محكم هذه التقنيات الحديثة كوضع القوانين اللازمة لحماية المستخدمين لهذه الأدوات وتشريع العقوبات اللازمة لمن يسيئ استخدامها مثل الهاتف النقال، ومواقع التواصل الحديثة، وبطاقات الائتمان، حيث كثير ما يسيء الأفراد التعامل معها، وبالتالي ينتج عنها مشكلات كثيرة مثل القنص والتزوير والاعتداء على خصوصيات الغير، بتقدير منهم أنها موجهة للهو والتسلية، على عكس الدول المصنعة لهذه التقنيات الحديثة، حيث تعرف كيفية التعامل معها وتوجيهها في خدمة الأفراد مع وضع القوانين اللازمة التي تحمي المستخدمين.

إن معيشتنا في عصر المعلومات الحالي تعني زيادة في مستوى "الانعكاسية الاجتماعية"، ويشير هذا المفهوم إلى أننا نقوم على الدوام بالتفكير في الظروف التي تكتنف حياتنا وفي تأملها والتمتع فيها، بما في ذلك أنماط السلوك والممارسات والأفكار التي نزاوها أو نحملها في حياتنا اليومية، وتظل في جميع الأحوال لدينا القدرة على التغيير والتعديل على الصعيدين الفردي والجماعي، ويعني ذلك أننا لم نفقد بعد سيطرتنا على المستقبل.

وعلى الصعيد العالمي فإن الدول المفردة قد فقدت جانبا من القوة التي كانت تتمتع بها في الماضي، وقل نفوذها في وضع السياسات الاقتصادية. غير أن الحكومات مازالت تحتفظ رغم ذلك بقدر كبير من السلطة والنفوذ، كما أن تضافر الجهود التعاونية بين الدول لا بد من أن يزيد من مستوى السيطرة والتوجيه على هذا "العالم المنفلت"، ولا شك أن الهيئات والحركات الاجتماعية التي يشير إليها "أورليخ بك" تقوم بدور مهم خارج الإطار السياسي النظامي التقليدي. غير أنها لا تستطيع أن تحل مكان السياسات الديمقراطية المعهودة، ولا بد أن تتجاوب الحكومات الديمقراطية مع دعوات الحركات الاجتماعية في المجتمع.

وقد أخذت "ديمقراطية العواطف" في الظهور بصورة بارزة في المجتمعات الحديثة خلال العقود القليلة الماضية. ويشير هذا المفهوم إلى ظهور أشكال جديدة من الحياة العائلية يشارك فيها الرجال والنساء على قدم المساواة. لقد كانت أشكال العائلة التقليدية قائمة على هيمنة الرجال، وكان القانون يكرس هذا التباين. وينبغي أن لا يقتصر تزايد المساواة بين الجنسين على حقوق التصويت والانتخاب، بل يجب أن يشمل على المجالات الشخصية الحميمة، وإن إشاعة الديمقراطية في الحياة الشخصية ينبغي أن تصل إلى مرحلة التي تصبح فيها العلاقات قائمة على الاحترام المتبادل والتواصل والتسامح.

يورغن هابرماس علم اجتماع الفعل. تكامل نظريتي الفعل والنظم.

يورغن هابرماس) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر 1929 يعتبر من أهم علماء الاجتماع و من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له ازيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي. ولا جدال في انتماء هابرماس إلى اليسار، إلا أنه، وربما بشكل غير متوقع ينتقد التقاليد الفكرية التي تنتمي إليها، الأمر الذي انتهى به إلى النأي بنفسه عن الحركة الطلابية التي ظهرت في الستينات. ويمكن النظر إليه، أولاً، باعتباره متماسكا بتصور يزواج بين البنية والفعل في نظرية كلية واحدة. وثانياً، بوصفه مدافعاً عن مشروع الحداثة، بالأخص عن فكري العقل والاخلاق الكليين. أما حجته في ذلك فهي أن مشروع الحداثة لم يفشل بل بالأحرى لم يتجسد ابداً، ولذا، فالحداثة لم تنته بعد. ويظهر أن هذا الموقف يضعه في اتجاه معارض تماماً مع أسلافه في مدرسة فرانكفورت.

ويرى هابرماس أن مجتمع الحداثة يتميز بهيمنة الدولة على الاقتصاد وعلى المجالات الأخرى للحياة الاجتماعية، وأن شؤون الحياة العامة لم يعد ينظر إليها باعتبارها مجالاً للنقاش والاختيار بل باعتبارها مشكلات تقنية تحل عن طريق العقل الأدائي. وحسب هابرماس فقد وصل تدخل الدولة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وما تبع ذلك من نمو العقل الأدائي وهيمنته إلى حد خطير، وقد وصلت عقلنة القرارات التي تخص الشأن العام إلى حد تفويض الكمبيوتر للقيام بهذا الدور بدلا من التنظيمات الاجتماعية الأمر الذي أدى إلى استبعاد تلك القرارات من مجال المناقشة العامة تماماً، وهذا أكدّه بارسونز في نظرياته حول النسق الاجتماعي. في حين يرى هابرماس أن الاقتصاد والاجتماع الماركسيين التقليديين يركزهما على الصراع الطبقي لم يعودا قادرين على فهم أوضاعنا الجديدة نعم إن الخلافات حول الأجر وتحسين شروط العمل مازالت قائمة إلا أن الصراعات الحقيقية والمهمة أصبحت تثور في مكان آخر في التشكيل الاجتماعي¹.

ويستخدم هابرماس مصطلحات ذات صلة بنظرية بارسونز مثل تكامل النسق والتكامل الاجتماعي.

1- التكامل الاجتماعي: هو مجموع الأنساق المؤسسية التي يرتبط لها البشر وهي تتصل بالتجربة التي يعيشها الناس

في علاقاتهم ببعضهم ومع أنفسهم.

2- تكامل النسق تشير إلى أنساق المؤسسات التي يكون الناس فيها على صلة ببعضهم البعض وهي آليات التوجيه

التي تقيمهم معا وتوجههم في علاقاتهم ببعضهم.

وحسب هابرماس فإن هاذين المسويين المعروفين في الواقع بالبنية والفعل لا بد أن يدرسا مجتمعين، ولا يوجد فصل واضح بين الفعل والبناء الاجتماعي فهما شيء واحد في واقع الأمر. وي طرح هابرماس في كتابه نظرية فعل التواصل العديد من أفكاره خاصة فيما يتعلق بمفهوم الحياة اليومية ويرتبط مفهوم الحياة اليومية عند هابرماس بمفهوم التكامل الاجتماعي.

¹ إيان كريب النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس ترجمة محمد حسين غلوم، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ص 314.

وتعني الحداثة بالنسبة للحياة اليومية أن مجالات عديدة من حياتنا الاجتماعية قد أصبحت قائمة ليس على التقاليد بل على تفاهم عقلائي متبادل تحكمه الأدوات العقلانية، أما من وجهة نظر النسق الاجتماعي فإن الحداثة هي عملية تمايز وإندماج من خلال النفوذ والقوة على وجه الخصوص، ويتطور النسق الاجتماعي عبر العقل الوظيفي الذي هو شكل من أشكال العقل الأداتي الذي يفرض النسق نفسه على الأفراد بواسطته.